Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (41), (JUNE, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) ملحق العدد 41 يونيو 2026
ردمد: 3014-6266

مفهوم الخير والشر في الفلسفة الحديثة: رينيه ديكارت نموذجًا

مريم مصباح عبد الله رجال
كلية التربية العجيلات / جامعة الزاوية
Email: m.irjal@zu.edu.ly

The Concept of Good and Evil in Modern Philosophy: René Descartes as a Model

Prepared by: Ms. Maryam Misbah Abdullah Rijal
Faculty of Education, Al-Ajilat, University of Zawia, Libya
Email: m.irjal@zu.edu.ly
https://orcid.org/0009-0005-1485-4722

تاريخ الاستلام:2026/06/30 –تاريخ المراجعة:2026/06/18– تاريخ القبول: 2026/06/28– تاريخ للنشر : 2026 /8/1

الملخص

يتناول البحث قضية الخير والشر في فلسفة رينيه ديكارت، بوصفها من أهم القضايا التي شغلت الفكر الفلسفي والأخلاقي عبر العصور، ويهدف إلى بيان مفهوم الخير والشر في الفكر الفلسفي عمومًا، وتحليل رؤية ديكارت لهما، مع توضيح العلاقة بين العقل والإرادة الحرة في بناء الحكم الأخلاقي، وبيان أثر هذا التصور في الفلسفة الأخلاقية والمجتمع الحديث، اعتمد البحث على المنهج التحليلي من خلال تحليل النصوص الفلسفية المتعلقة بالخير والشر، ودراسة موقف ديكارت، مع مقارنته ببعض الاتجاهات الفلسفية اللاحقة.

وتوصل البحث إلى أن الخير والشر من المفاهيم الأساسية في الفلسفة الأخلاقية، وأن ديكارت أقام تصوره الأخلاقي على العقل بوصفه وسيلة معرفة الخير، وعلى الإرادة الحرة باعتبارها أساس المسؤولية الأخلاقية، ويرى أن الشر لا يمثل وجودًا مستقلًا، وإنما ينشأ نتيجة سوء استعمال الإرادة وتجاوزها حدود ما يدركه العقل بوضوح وتمييز. كما بيّن البحث أن هذا التصور تعرّض لنقد من فلاسفة مثل سبينوزا، وهيوم، ونيتشه، وهايدغر، الذين اختلفوا مع ديكارت في تفسير مصدر القيم الأخلاقية وطبيعة الخير والشر.

كما أوضح البحث أن مفهوم الخير والشر لا يقتصر على الجانب النظري، بل يمتد أثره إلى المجتمع الحديث من خلال دوره في ترسيخ قيم العدالة، والصدق، والتسامح، واحترام حقوق الإنسان، ومواجهة مظاهر الفساد والعنف والتمييز، وانتهى البحث إلى أن فلسفة ديكارت الأخلاقية، رغم ما وُجِّه إليها من نقد، ما تزال تمثل إحدى الركائز المهمة في تطور الفكر الأخلاقي الحديث، وتسهم في فهم العلاقة بين العقل والحرية والمسؤولية الأخلاقية.

الكلمات المفتاحية : مفهوم الخير والشر ، الفلسفة الحديثة، رينيه ديكارت

Abstract: This study examines the concept of good and evil in the philosophy of René Descartes, as one of the most significant issues that has occupied philosophical and ethical thought throughout history. It aims to clarify the concept of good and evil in philosophical thought in general, analyze Descartes' perspective on these concepts, explain the relationship between reason and free will in the formation of moral judgment, and explore the impact of this conception on moral philosophy and modern society.

The study adopts the analytical method by examining philosophical texts related to good and evil, analyzing Descartes' position, and comparing it with those of later philosophical trends.

The study concludes that good and evil are fundamental concepts in moral philosophy and that Descartes grounded his ethical theory in reason as the means of recognizing the good and in free will as the basis of moral responsibility. According to Descartes, evil does not constitute an independent reality; rather, it arises from the misuse of the will when it exceeds the limits

of what reason clearly and distinctly perceives. The study also demonstrates that this conception was criticized by philosophers such as Spinoza, Hume, Nietzsche, and Heidegger, who disagreed with Descartes regarding the source of moral values and the nature of good and evil.

Furthermore, the study shows that the concept of good and evil extends beyond theoretical philosophy to influence modern society by promoting the values of justice, honesty, tolerance, and respect for human rights, while confronting corruption, violence, and discrimination. The study concludes that, despite the criticisms directed at it, Descartes' moral philosophy remains one of the major foundations of modern ethical thought and continues to contribute to understanding the relationship between reason, freedom, and moral responsibility.

Keywords: Concept of Good and Evil, Modern Philosophy, René Descartes.

المقدمة

تُعدّ قضية الخير والشر من أقدم القضايا التي شغلت الفكر الإنساني، فقد ارتبطت منذ بدايات التفكير الفلسفي بمحاولة الإنسان فهم طبيعة أفعاله، وتحديد المعايير التي تميز بين السلوك الصحيح والخاطئ، وبين ما ينبغي فعله وما يجب تجنبه، وقد احتلت هذه القضية مكانة مركزية في الفلسفة الأخلاقية؛ لأنها ترتبط بمفاهيم أساسية مثل الخير، والشر الفضيلة، والسعادة، والعدالة، والمسؤولية الإنسانية.

ولم يقتصر البحث في الخير والشر على المجال الأخلاقي فحسب، بل امتد إلى مجالات فلسفية أخرى، مثل فلسفة الدين والميتافيزيقا ونظرية المعرفة؛ إذ حاول الفلاسفة تفسير مصدر القيم الأخلاقية، وهل الخير والشر حقيقتان مستقلتان عن الإنسان، أم أنهما نتاج للعقل الإنساني وتجربته واختياراته.

وقد اختلفت الاتجاهات الفلسفية في تحديد طبيعة الخير والشر؛ فذهب سقراط إلى أن المعرفة أساس الفضيلة وأن الإنسان لا يفعل الشر إلا نتيجة الجهل، بينما رأى أفلاطون أن الخير يمثل أعلى المثل والقيم، واعتبر أرسطو أن الخير الأسمى للإنسان يتمثل في تحقيق السعادة من خلال ممارسة الفضائل. أما في الفكر الإسلامي فقد تناول الفلاسفة والمتكلمون قضية الخير والشر من خلال العلاقة بين الإرادة الإنسانية والعدل الإلهي ومسألة القضاء والقدر.

ومع بداية العصر الحديث ظهرت محاولات جديدة لإعادة بناء الأخلاق على أسس عقلية، وكان من أبرز ممثلي هذا الاتجاه الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596-1650)م، الذي أسهم في تأسيس الفلسفة العقلانية الحديثة، وعلى الرغم من أن شهرته ارتبطت أساسًا بمنهجه الشكي ونظريته في المعرفة، فإن فلسفته تضمنت تصورًا أخلاقيًا مهمًا يرتبط بالعقل والإرادة والحرية.

يرى ديكارت أن الإنسان يمتلك القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ من خلال العقل، وأن مصدر الخطأ والشر لا يرجع إلى العقل ذاته، بل إلى سوء استعمال الإرادة، وذلك عندما يصدر الإنسان أحكامًا تتجاوز حدود معرفته، فالخير عنده يرتبط بالاستخدام الصحيح للعقل، وبقدرة الإنسان على توجيه إرادته وفق ما يدركه من حقائق واضحة ومتميزة [1].

ومن هنا تأتي أهمية دراسة مفهوم الخير والشر عند ديكارت، لأنها تكشف جانبًا مهمًا من مشروعه الفلسفي، يتمثل في محاولة تأسيس أخلاق عقلانية تجعل من المعرفة والحرية أساسًا للمسؤولية الأخلاقية.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الكشف عن مفهوم الخير والشر في فلسفة رينيه ديكارت، وبيان الأسس العقلية التي اعتمد عليها في تفسير الأفعال الإنسانية، ومدى ارتباط الخير والشر بمفهومي العقل والإرادة الحرة.

وتتحدد مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

1. ما مفهوم الخير والشر في الفكر الفلسفي؟
2. كيف فسّر ديكارت الخير والشر؟
3. ما العلاقة بين العقل والإرادة في الحكم الأخلاقي عند ديكارت؟
4. ما أثر تصور ديكارت للخير والشر في تطور الفلسفة الأخلاقية الحديثة؟

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من أهمية موضوع الخير والشر باعتباره من القضايا الأساسية في الفلسفة الأخلاقية، ومن المكانة التي يحتلها ديكارت في تاريخ الفكر الحديث.

وتتمثل أهمية البحث فيما يأتي:

1. بيان تصور ديكارت لمفهومي الخير والشر .
2. توضيح العلاقة بين العقل والإرادة في بناء الحكم الأخلاقي .
3. إبراز دور المعرفة في توجيه السلوك الإنساني .
4. الكشف عن أثر فلسفة ديكارت في تطور الفكر الأخلاقي الحديث .
5. الإسهام في الدراسات الفلسفية التي تهتم بالجانب الأخلاقي من فلسفة ديكارت .

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. تعريف الخير والشر من الناحية اللغوية والاصطلاحية والفلسفية .
2. دراسة تطور مفهوم الخير والشر قبل العصر الحديث .
3. تحليل موقف ديكارت من الخير والشر .
4. بيان دور العقل والإرادة الحرة في فلسفة ديكارت الأخلاقية .
5. مقارنة تصور ديكارت ببعض التصورات الأخلاقية الحديثة .

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي ، وذلك من خلال تحليل النصوص الفلسفية المتعلقة بمفهومي الخير والشر، ودراسة موقف ديكارت، ومقارنته ببعض الاتجاهات الأخلاقية الحديثة.

المبحث الأول: الإطار الفلسفي لمفهومي الخير والشر.

المطلب الأول: تعريف الخير والشر لغةً واصطلاحًا

أولًا: الخير لغةً

يدل الخير في اللغة العربية على معاني متعددة، منها الفضل والنفع والصلاح، وهو ضد الشر، وقد ذكر ابن منظور أن الخير: ضد الشر، وهو اسم لكل ما يرغب فيه من الفضائل والمنافع[2].

ويعرف الخير في اللغة هو اسم تفضيل على غير قياس وهو ضد الشر، والخير الحسن لذاته ولما يحققه من لذة أو نفع أو سعادة، وجمعه خيور، وخيار، وأخيار[3].

وقد ورد استعمال لفظ الخير في القرآن الكريم للدلالة على العمل الصالح والعاقبة الحسنة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [4].

ثانيًا: الخير اصطلاحًا

يُعرَّف الخير اصطلاحًا ما يرغب فيه الكل ، كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع [5]. في حين تذهب "الأفلاطونية "الحديثة إلى أن الخير هو خلاص النفس من سجنها المادى باتصالها بالواحد الأحد [6].

فبينت المسيحية أن الخير هو طاعة القانون، وليس هذا القانون هو ما يكتشفه العقل البشرى، بل هو الوحى المنزل من السماء، فيجب علينا الالتزام به، لمجرد كونه تعبيرا عن الإرادة الإلهية، سواء بدا لنا معقولا أم غيرمعقول، منطقيا أم تعسفيا، عادلا أم ظالما [7].

ويرى أحمد أمين أن علم الأخلاق هو العلم الذي يبحث في الخير والشر، ويحدد المبادئ التي ينبغي أن تقوم عليها أفعال الإنسان وعلاقاته، ويوجه الإنسان نحو السلوك القويم [8].

ويصف الإسلام الخير كل ما هو طيب ونافع للإنسان، فردا أو جماعة بأنه خير، فهو إحدى القيم الإسلامية الهامة، ذكره القرآن الكريم في مائة وتسعين آية، فأمر به الله كقيمة مطلقة، أي من حيث هو خير في نفسه من غير قياس إلى غيره في قوله تعالى (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) [9].

ثالثًا: الشر لغةً

الشر في اللغة هو ضد الخير، ويدل على الضرر والفساد والنقص [10]، ويذكر ابن فارس أن: الشر أصل يدل على خلاف الخير[11] .

الشر خلاف الخير، وهو السوء والفساد، ومنه الشرر: وهو ما تطاير من النار ومفردها شررة، وشواء شرشار، أي: يتقاطر دسمًا [12] ، ويقال: فلانٌ شَرَ فلانًا، أي: إذا عابه وشهره في الناس(13) .

وجاءت كلمة الشر في القرآن الكريم بمعناها اللغوي، وهو السوء، أو ما ينفر منه كل أحد [14].

رابعًا: الشر اصطلاحًا

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للشر عن المعنى اللغوي فقد عبر العلماء عن اصطلاح الشر بقولهم : هو عدم ملائمة الشيء الطبع ، أي: أن الشر اسمٌ جامع للرذائل والخطايا، والسوء، والفساد، وكذلك المصائب والبلايا، كما جاء في معاجم اللغة [15].

الشر في الاستعمال القرآني وردت مادة (الشر) في القرآن الكريم(٣٠) مر [16].

ويرتبط الشر في الفلسفة الأخلاقية بالسلوك الذي يخالف العقل أو الفضيلة أو المبادئ الأخلاقية التي تنظم حياة الإنسان، ويرى كثير من الفلاسفة أن الشر ليس دائمًا وجودًا مستقلًا، بل قد يكون نتيجة نقص أو انحراف عن الخير، كما يظهر ذلك عند أفلاطون وابن سينا ،وعرّفت المعتزلة الشر بأنه الضر، في مقابل تعريفها الخير بأنه النفع؛ فكل ما يترتب عليه ضرر يُعد شرًا، بينما يُعد كل ما يحقق منفعة خيرًا [17].

المطلب الثاني: مفهوم الخير والشر في الفكر الفلسفي

يرى الفلاسفة اليونانيون أن الشر لا يصدر عن الله؛ فالإنسان، بحسب طبيعته وبقدر ابتعاده عن الله، قد يكون مصدرًا للشر في العالم، لذلك ينبغي للنفس أن تتهيأ لاكتساب الخير من خلال معرفة ذاتها وممارسة الفضيلة، وعند سقراط (469–399 ق.م)، إذا أدرك الإنسان أن الفضيلة هي الخير الحقيقي، فإنه يسعى إليها بطبيعته، لأن كل موجود مفطور على طلب الخير والابتعاد عن الشر. لذلك اعتبر سقراط أن الفضيلة علم، وأن الرذيلة جهل؛ فالإنسان الشرير هو من يجهل نفسه وخيره الحقيقي، ولا يرتكب الشر عن قصد، وإنما يقع فيه نتيجة جهله بالخير، ومن هذا المنطلق، أكد سقراط أن المعرفة الحقيقية بالخير تدفع الإنسان إلى العمل به وتحقيقه، ولذلك ارتبط فكره بالمبدأ القائل" الفضيلة معرفة"، أي أن الإنسان الفاضل هو من يعرف الخير ويعمل به [18].

أما أرسطو (384–322 ق.م)، فيرى أن الإنسان هو الفاعل المباشر للشر في الفلسفة اليونانية، غير أن طريق الخلاص منه يظل مفتوحًا أمامه من خلال الاقتراب من الله والاقتداء به، فالله خيرٌ محض لا يصدر عنه الشر، وكلما ازداد الإنسان تمثلًا بصفات الخير الإلهية، ازداد تحررًا من الشر واقترب من الفضيلة [19]. ويرى أفلاطون أن الخير يمثل أعلى المثل، وهو المبدأ الذي تستند إليه جميع القيم الأخرى. فالخير عنده ليس مجرد رغبة إنسانية أو منفعة مؤقتة، بل حقيقة موضوعية ثابتة، ويربط أفلاطون بين معرفة الخير وتحقيق الفضيلة؛ فالإنسان لا يستطيع أن يكون عادلًا أو حكيمًا إلا إذا أدرك حقيقة الخير.

أما الشر فلا يراه أفلاطون مبدأ مستقلًا، وإنما ينتج عن الجهل والابتعاد عن عالم المثل [20]. ويرى ابن سينا أن الشر موجود في العالم، لكنه ليس وجودًا مستقلًا بذاته، بل هو نقص أو فقدان للكمال، ويقسم الشر إلى ثلاثة أنواع:

1. الشر الطبيعي: مثل المرض والألم .
2. الشر الأخلاقي: مثل الرذائل والأفعال القبيحة .
3. الشر الوجودي: المرتبط بالنقص والقصور .

ويؤكد ابن سينا أن الخير هو الأصل، وأن الشر يظهر بسبب عدم تحقق الكمال أو وجود نقص في الموجودات [21].

المبحث الثاني:مفهوم الخير والشر عند رينيه ديكارت

يُعدّ رينيه ديكارت من أهم فلاسفة العصر الحديث الذين سعوا إلى إعادة بناء المعرفة الإنسانية على أساس العقل واليقين، وعلى الرغم من أن مشروعه الفلسفي ركّز بصورة أساسية على نظرية المعرفة والمنهج والميتافيزيقا، فإن أفكاره تضمنت تصورًا أخلاقيًا مهمًا يمكن من خلاله فهم موقفه من الخير والشر، خاصة من خلال تحليله للعلاقة بين العقل والإرادة والحرية، يرى ديكارت أن الإنسان يتميز عن باقي الموجودات بامتلاكه للعقل، وأن العقل هو الأداة التي تمكنه من معرفة الحقيقة والتمييز بين الصواب والخطأ، وإن الحياة الأخلاقية لا يمكن أن تقوم على الانفعالات والرغبات وحدها، بل يجب أن تعتمد على استخدام العقل استخدامًا صحيحًا [22].

كما يربط ديكارت بين الخير والشر وبين قدرة الإنسان على الاختيار؛ فالإنسان يمتلك إرادة حرة تجعله مسؤولًا عن أفعاله، ولذلك فإن الخطأ الأخلاقي لا يرجع إلى نقص في العقل، وإنما إلى سوء استعمال الإرادة عندما تتجاوز حدود المعرفة والفهم.

المطلب الأول: الأسس الفلسفية للأخلاق عند ديكارت

أولًا: العقل أساس المعرفة الأخلاقية

يقوم التصور الديكارتي للأخلاق على المكانة المركزية للعقل؛ إذ يرى ديكارت أن العقل هو القوة التي تمكن الإنسان من الوصول إلى الحقائق، وأن استخدامه بطريقة صحيحة يؤدي إلى تجنب الخطأ والانحراف، وقد جعل ديكارت من قاعدة

"الوضوح والتميز" معيارًا للحقيقة، حيث يرى أن الإنسان لا ينبغي أن يقبل حكمًا إلا إذا أدركه إدراكًا واضحًا ومتميزًا. ويؤثر هذا المبدأ في المجال الأخلاقي؛ لأن الإنسان لا يستطيع اختيار الخير إلا إذا امتلك معرفة صحيحة بما هو خير، ويرى ديكارت أن كثيرًا من الأخطاء التي يقع فيها الإنسان ترجع إلى إصدار أحكام قبل اكتمال المعرفة، ولذلك فإن تنمية العقل وتدريبه على التفكير الصحيح يمثلان شرطًا أساسيًا للوصول إلى حياة أخلاقية سليمة[23].

ثانيًا: الإرادة الحرة ومسؤولية الإنسان

تحتل الإرادة مكانة أساسية في فلسفة ديكارت الأخلاقية، إذ يرى أن الإنسان يمتلك حرية الاختيار، وأن هذه الحرية هي التي تجعله مسؤولًا عن أفعاله، ويؤكد ديكارت في التأمل الرابع من كتاب *التأملات في الفلسفة الأولى* أن الإرادة الإنسانية أوسع من الفهم؛ فالعقل محدود بما يدركه، بينما تستطيع الإرادة أن تختار أو ترفض حتى في الأمور التي لم يتم إدراكها بصورة كاملة.

ويرى ديكارت أن الحرية الحقيقية لا تتمثل في الاختيار العشوائي بين البدائل، وإنما في اتباع ما يدركه العقل باعتباره صحيحًا. فالإنسان يكون أكثر حرية عندما يختار وفق المعرفة والعقل، وليس عندما يخضع للأهواء والرغبات [24].

ومن هنا فإن المسؤولية الأخلاقية عند ديكارت تقوم على قدرة الإنسان على التحكم في إرادته وتوجيهها وفق ما يراه العقل صحيحًا.

ثالثًا: الشك المنهجي وعلاقته بالأخلاق

يُعد الشك المنهجي نقطة الانطلاق في فلسفة ديكارت، إلا أنه لا يمثل شكًا سلبيًا هدفه إنكار المعرفة، بل هو وسيلة للوصول إلى الحقيقة.

فقد رأى ديكارت أن الإنسان يقع في الخطأ عندما يقبل الأفكار دون فحص أو يتبع آراء غير مؤكدة، ولذلك فإن الشك المنهجي يساعد الإنسان على التخلص من الأحكام الخاطئة.

ومن الناحية الأخلاقية، يؤدي الشك المنهجي دورًا مهمًا؛ لأنه يعلّم الإنسان التروي وعدم إصدار الأحكام المتسرعة، مما يقلل من إمكانية الوقوع في الخطأ. فالفعل الأخلاقي الصحيح يحتاج إلى معرفة ودراسة قبل اتخاذ القرار[25].

المطلب الثاني: مفهوم الخير والشر عند ديكارت

أولًا: الخير عند ديكارت

يرى ديكارت أن الخير يرتبط بالله بوصفه مصدر الكمال والخير المطلق، فالله هو المعيار الأعلى الذي تُقاس به قيمة الأفعال الأخلاقية، ولا يُعرف الخير من خلال الحواس أو المنافع الدنيوية، وإنما يُدرك بواسطة العقل والنور الفطري الذي أودعه الله في الإنسان، مما يمكّنه من الوصول إلى معرفة الحقائق الأبدية، ومنها الحقائق الأخلاقية، فالخير عند ديكارت ليس مجرد ما يحقق اللذة أو المنفعة للإنسان، بل هو ما يتوافق مع الإرادة الإلهية الكاملة، ولذلك فإن الإنسان، من خلال استخدام عقله وإرادته بصورة صحيحة، يستطيع تمييز الخير واختياره، ومن هنا يصبح الخير أساس الأخلاق، لأنه يمثل الغاية التي ينبغي أن توجه إليها أفعال الإنسان، كما أنه مرتبط بكمال الله وصدقه الذي يضمن إمكانية معرفته [26].

الخير وعلاقته بالعقل والإرادة

يرى ديكارت أن الإرادة هي قدرة الإنسان على الاختيار بين البدائل المختلفة، ولا تقتصر على مجرد التردد أو المفاضلة بين طرفين، بل تمثل ملكة حرة تمكّن الإنسان من اتخاذ القرار. وترتبط الإرادة بالعقل ارتباطًا وثيقًا، إذ يهدي العقل الإنسان إلى إدراك الحق والخير بالنور الطبيعي، بينما تتولى الإرادة إصدار الأحكام واتخاذ المواقف. وعندما تنفصل الإرادة عن هداية العقل، يزداد احتمال الوقوع في الخطأ [27].

الخير بوصفه نتيجة للاستخدام الصحيح للعقل

يرى ديكارت أن العقل يمثل الطريق الأساسي للوصول إلى الخير، لأن الإنسان لا يستطيع أن يختار الفعل الصحيح إلا إذا امتلك معرفة صحيحة.

فالإنسان لا يختار الشر لأنه يريد الشر لذاته، وإنما يقع فيه نتيجة نقص المعرفة أو سوء التقدير. ومن هنا يرتبط الخير عند ديكارت بالحكمة؛ لأن الحكمة تساعد الإنسان على ضبط رغباته وتوجيه أفعاله وفق العقل.

ويؤكد يوسف كرم أن الأخلاق عند ديكارت تقوم على فكرة أساسية وهي أن الإنسان يستطيع بلوغ الفضيلة عندما يجعل العقل قائدًا لإرادته [28].

ثانياً : الشر عند ديكارت

أما الشر عند ديكارت فلا يُعد وجودًا مستقلًا أو حقيقة قائمة بذاتها، بل هو نتيجة للنقص والقصور الذي يميز طبيعة الإنسان المحدودة. فالإنسان، لكونه كائنًا غير كامل، قد يقع في الخطأ عندما تتجاوز إرادته حدود ما يدركه العقل بوضوح وتمييز، وكذلك يرتبط الشر بالجهل أو نقص المعرفة، وهو يمثل ابتعادًا عن الكمال والخير الحقيقي، وليس قوة مقابلة للخير [29].

الشر بوصفه نتيجة لسوء استعمال الإرادة

لا يرى ديكارت أن الشر يمثل قوة مستقلة أو مبدأ قائمًا بذاته، وإنما يعتبره نتيجة للخطأ والنقص في استخدام الإنسان لعقله وإرادته.

فالشر الأخلاقي يظهر عندما يصدر الإنسان أحكامًا قبل أن يمتلك معرفة واضحة وكافية، أو عندما يجعل إرادته تتجاوز حدود فهمه.

ويشرح ديكارت في التأمل الرابع أن الخطأ لا يأتي من العقل أو الإرادة منفردين، وإنما يحدث عندما تستخدم الإرادة قدرتها على الحكم في أمور لم يدركها العقل بصورة كاملة [30].

علاقة الجهل والخطأ بظهور الشر

يربط ديكارت بين الشر والجهل، لأن الإنسان عندما يفتقد المعرفة الصحيحة قد يختار ما يضره أو يضر غيره.

فالجهل يؤدي إلى تكوين أحكام خاطئة، وهذه الأحكام تؤثر في الإرادة وتوجهها نحو أفعال غير صحيحة.

ومن هنا فإن علاج الشر عند ديكارت لا يكون فقط بالعقاب، وإنما بتنمية العقل ونشر المعرفة؛ لأن الإنسان كلما ازداد علمًا أصبح أكثر قدرة على الاختيار الصحيح [31].

مسؤولية الإنسان عن أفعاله

تقوم فلسفة ديكارت الأخلاقية على مبدأ الحرية والمسؤولية؛ فالإنسان ليس كائنًا مجبورًا على أفعاله، وإنما يمتلك القدرة على الاختيار.

ولهذا يتحمل الإنسان مسؤولية الخير والشر الناتجين عن أفعاله، لأن اختياراته تصدر عن إرادته الحرة.

فالخير لا يتحقق عند ديكارت بمجرد توافق الفعل مع نتيجة نافعة، بل بتحقق الانسجام بين العقل والإرادة، بينما الشر ينتج عن الانحراف عن حكم العقل وسوء استخدام الحرية [32].

المبحث الثالث: نقد تصور ديكارت للخير والشر، وبيان أثر مفهومهما في المجتمع الحديث

المطلب الاول : نقد الفلاسفة لتصور ديكارت للخير والشر

أثار تصور ديكارت للخير والشر نقاشًا واسعًا لدى عدد من الفلاسفة، خاصة فيما يتعلق بعلاقة الإرادة بالمعرفة ومصدر الخطأ الأخلاقي، فقد ربط ديكارت الخير بالإرادة الإلهية، واعتبر أن الله هو مصدر الخير المطلق، بينما جعل الشر نتيجة لقصور الإنسان وحدود معرفته، وليس وجودًا قائمًا بذاته، غير أن هذا التصور تعرض لعدة انتقادات فلسفية [33].

يرى باروخ سبينوزا أن تقسيم الأشياء إلى خير وشر ليس قائمًا في طبيعة الموجودات ذاتها، وإنما يرتبط بطريقة إدراك الإنسان لها ومصالحه الخاصة، فالخير والشر عند سبينوزا مفهومان نسبيان يتعلقان بما يزيد قدرة الإنسان على الوجود أو يضعفها، وليسَا صفات مطلقة صادرة عن إرادة إلهية كما تصور ديكارت[34].

أما ديفيد هيوم فقد انتقد الاتجاه العقلي الذي يجعل العقل مصدرًا للحكم الأخلاقي، مؤكدًا أن الأخلاق لا تقوم على العقل وحده، بل ترتبط بالعاطفة والشعور الإنساني، فالإنسان لا يحكم على الفعل بأنه خير أو شر اعتمادًا على المعرفة العقلية فقط، وإنما بناءً على مشاعره وميوله الطبيعية [35].

ومن جهة أخرى، انتقد فريدريش نيتشه التصور الأخلاقي الذي يجعل الخير والشر قيمًا ثابتة ومتعالية، ورأى أن هذه القيم ليست حقائق مطلقة، بل هي نتاج تاريخي وثقافي يعبر عن أنماط معينة من الحياة، لذلك رفض نيتشه رد الخير إلى مصدر إلهي ثابت، ودعا إلى إعادة تقييم القيم الأخلاقية [36].

كما وجه مارتن هايدغر نقدًا للميتافيزيقا الديكارتية عمومًا، معتبرًا أن جعل الذات أساس الحقيقة أدى إلى اختزال الوجود في إطار المعرفة الذاتية، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن تفسير ديكارت للخير والشر ظل مرتبطًا بالميتافيزيقا الإلهية، في حين حاول فلاسفة آخرون تفسيرهما انطلاقًا من الإنسان، أو التاريخ، أو الوجود ذاته [37].

وبذلك يتضح أن التصور الديكارتي للخير والشر، رغم أهميته في تأسيس الأخلاق الحديثة، بقي محل اعتراض بسبب اعتماده على فكرة الكمال الإلهي، وعلى اعتبار الشر مجرد نقص أو غياب للكمال، وهي فكرة حاولت اتجاهات فلسفية لاحقة إعادة النظر فيها.

المطلب الثاني : أثر مفهوم الخير والشر في المجتمع الحديث

لا يقتصر مفهوم الخير والشر على الجانب النظري، بل ينعكس بصورة مباشرة على حياة الإنسان والمجتمع، إذ تؤثر التصورات الأخلاقية في التشريعات والقوانين والعلاقات الاجتماعية.

فالخير يتمثل في نشر قيم العدالة، والصدق، والتسامح، والتعاون، واحترام حقوق الإنسان، وهي قيم تسهم في تحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي.

أما الشر فيظهر في صور متعددة، مثل الظلم، والفساد، والعنف، والتمييز، واستغلال السلطة، وهي ممارسات تؤدي إلى تفكك المجتمع وإضعاف الثقة بين أفراده.

ويرى أحمد أمين أن وظيفة علم الأخلاق هي بيان معايير الخير والشر، وتوجيه الإنسان نحو السلوك الذي يحقق صلاح الفرد والمجتمع [38].

كما يؤكد توفيق الطويل أن الأخلاق تهدف إلى تهذيب النفس الإنسانية ومعالجة الرذائل، لأن إصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح الفرد [39].

ومن المنظور الإسلامي، يؤكد القرآن الكريم أن الإنسان مفطور على إدراك الخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [40].

كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [41].

وتدل هذه الآيات على أن الإنسان يمتلك قدرة فطرية على التمييز بين طريق الخير وطريق الشر، وأنه مسؤول عن اختياراته.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن قضية الخير والشر تمثل إحدى أهم القضايا التي تناولتها الفلسفة الأخلاقية قديمًا وحديثًا، وأن اختلاف الفلاسفة في تفسيرها يرجع إلى اختلاف تصوراتهم لطبيعة الإنسان ومصدر القيم الأخلاقية.

وقد تبين أن ديكارت قدّم تصورًا عقلانيًا للأخلاق، جعل فيه العقل أساسًا للتمييز بين الخير والشر، والإرادة الحرة أساسًا للمسؤولية الأخلاقية، ورأى أن الشر لا يمثل قوة مستقلة، وإنما ينشأ نتيجة سوء استعمال الإرادة وتجاوزها حدود المعرفة.

كما أوضحت الدراسة أن الاتجاهات الأخلاقية الحديثة، كالنفعية والواجبية، قد أسهمت في إثراء الفكر الأخلاقي، من خلال تقديم معايير مختلفة للحكم على الأفعال الإنسانية، الأمر الذي أسهم في تطور النظريات الأخلاقية المعاصرة.

النتائج

1. الخير والشر من المفاهيم الأساسية في الفلسفة الأخلاقية .
2. يربط ديكارت الخير بالعقل والإرادة الحرة .
3. يرى ديكارت أن الشر ينتج عن الخطأ وسوء استعمال الإرادة .
4. تؤدي القيم الأخلاقية دورًا محوريًا في استقرار المجتمعات الحديثة .
5. ما زالت أفكار ديكارت تمثل أساسًا مهمًا في الفلسفة الأخلاقية المعاصرة .

التوصيات

1. الاهتمام بدراسة الفلسفة الأخلاقية في الجامعات .
2. تعزيز التربية على القيم الأخلاقية .
3. الربط بين العقل والأخلاق في معالجة القضايا المعاصرة .
4. تشجيع الدراسات المقارنة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة .
5. إجراء بحوث متخصصة حول فلسفة ديكارت الأخلاقية وأثرها في الفكر المعاصر.

قائمة المراجع

1. ديكارت، رينيه، التأملات في الفلسفة الأولى، 1641، التأمل الرابع.
2. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: خير.
3. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط3، القاهرة، دار المعارف، مادة (خير)، ج1، ص273.
4. القرآن الكريم، سورة الزلزلة، الآية (7).
5. إسماعيل حقي، روح البيان، ج7، ص348.
6. إبراهيم بيومي مدكور، دروس في تاريخ الفلسفة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1953، ص13.
7. أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، بيروت، دار النهضة العربية، 1992، ص106.
8. أحمد أمين، الأخلاق، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1929، ص2.
9. القرآن الكريم، سورة الحج، الآية (77).
10. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: (شرر).
11. ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة: (شر).
12. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص354.
13. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج4، ص400.

14. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج4، ص400، السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج2، ص259.
15. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص109، القاضي نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج2، ص151.
16. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص378.
17. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج6، العدل والتجوير، القاهرة، وزارة الثقافة، د.ت، ص167–168.
18. إبراهيم بيومي مدكور، دروس في تاريخ الفلسفة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1953، ص13.
19. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج6، العدل والتجوير، القاهرة، وزارة الثقافة، د.ت، ص167–168.
20. كاويني، الدورة الكاملة لآثار أفلاطون، الجزء السادس، طهران، 1978، ص183.
21. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الشفاء: الإلهيات، تحقيق إبراهيم مدكور وآخرين، ج2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1960، ص415.
22. ديكارت، رينيه، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، ط3، الإسكندرية، دار المعارف العامة.
23. ديكارت، رينيه، مبادئ الفلسفة، 1644، الجزء الأول.
24. ديكارت، رينيه، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة كمال الحاج، ط4، بيروت، منشورات عويدات، 1988.
25. ديكارت، رينيه، العالم أو كتاب النور، ترجمة إميل خوري، ط1، بيروت، دار المنتخب العربي، 1999.
26. إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، ج1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993.
27. نظمي لوقا، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1972، ص163.
28. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012، ص92.
29. إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، ج1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993، ص123.
30. ديكارت، رينيه، التأملات في الفلسفة الأولى، 1641، التأمل الرابع.
31. Cottingham, John, Philosophy of Mind: An Introduction, Cambridge University Press, 1998, p.175.
32. ديكارت، رينيه، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، ط3، الإسكندرية، دار المعارف العامة.
33. ديكارت، رينيه، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة كمال الحاج، ط4، بيروت، منشورات عويدات، 1988، ص95–101.
34. سبينوزا، باروخ، علم الأخلاق، ترجمة جلال الدين سعيد، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص257–265.
35. هيوم، ديفيد، بحث في مبادئ الأخلاق، ترجمة حسن حنفي، القاهرة، دار التنوير، ص45–55.
36. نيتشه، فريدريش، في جينيالوجيا الأخلاق، ترجمة محمد الناجي، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ص25–40.
37. هايدغر، مارتن، الكينونة والزمان، ترجمة فتحي إنقزو، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص45–60.
38. الطويل، توفيق، فلسفة الأخلاق: نشأتها وتطورها، ط4، القاهرة، دار الثقافة، 1978.
39. أحمد أمين، الأخلاق، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1992.
40. القرآن الكريم، سورة الشمس، الآيتان (7–8).
41. القرآن الكريم، سورة البلد، الآية (10).